مخلفات حضارتي العصر الحجري اللاحق

في بلاد المغرب القديم

الأستاذ : محمد الصغير غانم

جامعة قسنطينة .

مخلفات الحضارة الايبيرومغربية :

يعود الفضل في اكتشاف موقع المويلح بالغرب الجزائري إلى الباحث بول بالاري (P.Pallary) الذي زار المنطقة خلال سنة1899. ثم لاحظ أدواتها الميكروليتية التي تتصدرها النصال. وقد شرع في تنقيب الموقع للمرة الأولى في سنة 1907 على يد الباحث أ. باربان (A – BARBIN) ثم تبعه فيما بعد س. جزيل وذلك في سنة 1910. ونشرت نتائج الحملتين في مجلة الغرب الجزائري حينذاك[1] .وكانت التسمية التي أطلقت على أدوات المويلح منذ ذلك التاريخ هي ((الصناعة الإيبيرومغربية)) اعتقادا من الباحثين الذين درسوا أدوات الموقع بأنها ذات صلة بحضارة العصر الحجري القديم الأعلى في شبه جزيرة إيبيرية.

وقد حاول ج. جوبير (E.G. Gobert) و ر.قوفرى (R.Vaufrey) في بحوث لهما متعلقة بالايبيرومغربية في الغرب الجزائري أن يستبدلا مصطلح الايبيرومغربية بالوهرانية غير أنهما لم ينجحا في ذلك باعتبار أن تسمية الوهرانية محلية حسب مزاعم أصحاب الانتقاد الذي وجه للباحثين المشار إليهما. وكان يمكن في رأي المعترضين عن التسمية الوهرانية أن يطلق على أدوات الموقع مصطلح الصناعة المويلحية* نسبة إلى الموقع الأصلي الذي اكتشفت فيه تلك الصناعة [2] .

---

1 A. Barbin. et St Gsell, in compte rendu in. Bull. De la soc. De géog. Et d'archéol. D'Oran, T.XXX. 1910. pp. 77-99 et XXXII pp.389 – 402.

*كارم (ريجاس و شن جوبر) هما أول من اقترح مصطلح المويلحية للإطلاق على الأدوات المويلحية. و قد أيدهما في ذلك كل من بول بالاري و روبي وإبراهيمي غير أن مصطلح الوهرانية و المويلحية لم يصمدا أمام مصطلح الايبيرومغربية وذلك انطلاقا من توجهات المدرسة الغربية التي ينتمي إليها الباحثون الذين درسوا الموضوع. باعتبار أن كل الحضارات منطلقها المواقع الأوروبية. وفي رأينا، فإن مصطلح الوهرانية صالح للتعميم، وقد استعمل من قبل المدرسة الأنجلوسكسونية (مالك بيرني) و المدرسة المشرقية (رشيد الناضوري) والمدرسة الجزائرية (ما بعد الاستقلال).

2 R.Vaufrey, Préhistoire de L'Afrique T.I. le Maghreb ;Ed. Masson ; Paris 1955 ;pp. 88-89.

كذلك وجهت انتقادات أخرى للمصطلح الوهراني تتعلق بأهمية المواقع الايبيرومغربية الأخرى الموزعة في بقية بلاد المغرب مثل تافورالت بالمغرب الأقصى وأفالوبوريمال بالقرب من بجاية بالجزائر وشتاته بتونس. ومع ذلك لم تعط أسماءها للصناعة التي اكتشفت فيها. وبذلك ثبت مصطلح الايبيرومغربية بعد أن طرحت حوله عدة أسئلة لفترة من الزمن.

أنواع الصناعة الحجرية الايبيرومغربية.

تشمل صناعة الحضارة الايبيرومغربية التي عثر عليها في المواقع المغربية عدة أنواع من الأدوات الحجرية التي تتميز على العموم بمواصفاتها القزمية بحيث لا يتجاوز طول نصالها ثلاثة إلى سبع سنتمترات. وكثيرا ما تغلب على أدواتها صناعة النصال المضروبة الظهر التي تصل نسبتها إلى أكثر من 70% في بعض المواقع .

وهناك عدة أشكال تأخذها النصال نذكر منها:

ذات الاستقامة غير المنتظمة والمدببة وكذا تلك المشذبة القاعدة، ويلاحظ أنه إلى جانب النصال توافرت الأزاميل العادية والدقيقة والمكاشط وكذا بعض القطع المحززة والمسننة. وقد صنعت الأدوات الايبيرومغربية من حجارة الكوارتز والحجارة البركانية، وبالإضافة إلى حجارة الصوان.

ويلاحظ أنه غالبا ما تأخذ الأدوات الايبيرومغربية أشكالا عديدة نذكر منها المثلثة وهي جذا وكذا المستطيلة أما أشباه المنحرفة فهي نادرة[1].

وتظهر نواة الصناعة الحجرية الايبيرومغربية بيضاوية الشكل وأحيانا تكون مربعة وذات قاعدة مزدوجة ، وهي في ذلك شبيهة بمثيلاتها التي توافرت في مواقع الحضارة السبيلية في مصر [2].

---

[1] G. Camps ;Les civilisations préhistoriques de L'Afrique du Nord et du Sahara,éd.Doin ;Paris 1974.p.60.

[2] H.Aliman ; Op.cit.pp.82-84.

أيضا شملت الأدوات الايبيرومغربية أجزاء المطاحن غير المنحوتة التي ربما كانت تستعمل لسحق المغرة بقصد تلوين الأجسام وكذا سحق الحبوب البرية التي كانت تدخل في غذاء الأقوام الايبيرومغربيين.

والجدير بالذكر أن الحضارة الايبيرومغربية لا تقتصر فقط على الصناعة الحجرية بأنواعها بل تتمثل أيضا في الصناعة العظمية وأدوات الزينة وكذا مخلفات العظم البشرية.[1] وقد استعمل أناس الحضارة الايبيرومغربية صناعة العظام في الثقب والقطع وكانت في بداية الأمر عبارة عن عظام طويلة مشظاة طوليا . واتصفت الأدوات المحصل عليها بالطول وقله العرض. أما القاعدة فكانت غالبا ما تأخذ شكلا دائريا أو بيضاويا.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثين يعترفون بأن صناعة العظام خلال فترة الحضارة الايبيرومغربية كانت قليلة جدا إذا ما قيست بمثيلتها الحجرية وأنها لم تشارك بكيفية واضحة في تحديد معالم تلك الحضارة[2] ومن بين الأدوات العظمية التي توافرت صناعتها حينذاك نشير إلى الخناجر والمقاص والدبابيس والمخارز وكذا العقود التي كانت تتخذ للزينة .

ومن جهتها تصف هـ .كامبس فيرار(H.Camps.F) صناعة العظام حينذاك بأنه كان يغلب عليها الاستقامة والطول في كثير من الأحيان مع استدارة القاعدة[3].

مراحل الحضارة الايبيرومغربية :

حاول الباحثون الذين درسوا مخلفات الحضارة الايبيرومغربية أن يقسموها وفقا لتطور الأدوات الحجرية والعظمية إلى ثلاث مراحل هامة تتمثل في المرحلة القديمة والمتوسطة والمتطورة .

---

[1] C. CAMPS ; Op. Cit. p. 62

[2] (4) H.J.Hugot ; le Sahara avant le désert, éd. des Hesperides, Paris 1974, pp. 155-156.

[3] H.Camps Fabrer ; industrie de L'es néolithique et de L'âge des métaux , centre nation. de la recherche scientifique; Paris 1979 ;pp.17-18.

التدرج التاريخي :

لقد درست الصناعة الايبيرومغربية في بلاد المغرب القديم من قبل كل من ج. جوبير(G.Gabert) ول. بالو و ج .مورال وغيرهم كثيرين . كما حددت أنماط صناعتها كذلك من قبل الباحث ج .تيكسي J.Tixie) الذي درس باهتمام موقع الهامل.[1]

وتعتبر الحضارة الايبيرومغربية في حقيقتها حضارة ساحلية في توزيعها، غير أن ذلك لا يمنع من أنها امتدت نحو الداخل بحيث ظهرت لها مواقع في كل من كوليمناطة والهامل. وقد أرخ لأدوات الحضارة الايبيرومغربية في السوية 17 من موقع هوا الفتايح بليبيا بحوالي منتصف الألف الرابع عشرة قبل الميلاد. واعتبر بالو هذا التاريخ مساويا لذلك الذي قدر للطبقات السفلى (11و12) الموالية للعاترية في موقع تافورالت بالمغرب الأقصى[2]. و هو ما دعا الباحث الإنجليزي ماك بيرني لأن يستنتج بأنه لا يستبعد أن تكون هجرة الأقوام الحاملة للحضارة الايبيرومغربية نحو الغرب كانت قد تمت في فترة متقدمة عن الطبقة 17 من موقع هوا الفتايح بليبيا.وقد دامت فترة الحضارة الايبيرومغربية في بلاد المغرب القديم حوالي 6 آلاف سنة بحيث أنه منذ الألف التاسعة قبل الميلاد تظهر الأدوات القفصية وتنتشر بعد ذلك التقاليد القفصية أكثر من غيرها في منطقة بلاد المغرب القديم[3] .

وعلى العموم ، فإن رتابة التدريج التاريخي الخاص بالحضارة الايبيرومغربية يبدو صعب المنال، وكان الذي يمكن أن يلاحظ من تطابق سوياتها في المواقع الأثرية بأنها موالية من حيث الزمن للحضارة العاترية وسابقة لصناعة العصر الحجري الحديث وتحتل مكانة متوسطة صحبة الحضارة القفصية تقريبا . وينطبق هذا الرأي على معظم مواقعها التي تشترك فيها مع القفصية وذلك مثل موقع سيدي منصور بالقرب من قفصة والخويطة غربي الأغواط وكذا كوليمناطة بتايرت حيث يلاحظ أسبقية أدوات الحضارة الايبيرومغربية للحضارة القفصية.

---

[1] J .TIXIER ;Le gisement préhistorique d'El-Hamel- Libyca ;T.II. 1954.PP.79-120.

[2] L. BALOUT, Préhistoire de l'Afrique, op. cit. p.367

[3] R. FURON.Manuel de préhistoire générale ; 5e éd. Payot ; Paris 1966 ;pp.262-285.

التوزيع الجغرافي :

تنتشر مواقع الحضارة الايبيرومغربية على كامل سواحل بلاد المغرب القديم تقريبا ابتداء من سواحل المحيط الأطلسي غربا وحتى سواحل برقة بليبيا شرقا باستثناء السواحل الشرقية التونسية التي تبدو منعدمة فيها تلك المواقع فيما عدا وادى عكريت بالقرب من خليج قابس .وقد حظي المغرب الأقصى بعدة مواقع هامة نذكر منها على سبيل المثال تافورالت وقد بدا للباحثين الأثريين بعد دراسة أدواته بأنه لا يستبعد أن يكون أقدم موقع أثري مثل الحضارة الايبيرومغربية لا سيما في سوياته (12-11). يضاف إلى ذلك موقع كيفان بلغوماري والحنك عين الرومان وبوسكورة والخنزيرة.[1]

أما المواقع الجزائرية فتمتد من المويلح غربا حتى جبل أيدوغ بالقرب من عنابة شرقا ومعظم مواقعها ساحلية وتلية.

وقد توغلت الايبيرومغربية إلى الداخل في منطقة الوسط الجزائري حيث وجدت لها مواقع في كل من كوليمناطة بالقرب من تيارت بالهضاب العليا وكذا موقع الهامل بالقرب من بوسعادة في التخوم الصحراوية[2].

ومن بين أهم المواقع الجزائرية الساحلية التي تمثلت فيها صناعة الحضارة الايبيرومغربية نشير إلى موقع المويلح ورأس تنس وراسل بجبل الشنوة بالقرب من شرشال.[3] ثم أفالوبوريمل وعلى باشا وتمارهات في ضواحي بجاية[4].يضاف إلى ذلك موقع جيجل الغربي وجبل أيدوغ بالقرب من عنابة[5].

---

[1] L. BALOUT, préhistoire, op. Cit. p.373.

[2] J. TIXIER. Op. cit. p.86.

[3] H. MARCHAND, Faune préhistorique de la grotte du Chenoua, bull.de la soc.d'histoire pat. de l'Afrique du nord, T. XXIII, 1932 p.75.

[4] A. DEBRUGE, la station quaternaire, Ali Bacha Bougie (Moustérien en place) rec. de notes et mém. De la soc. Archéol. De Constantine. T. XL, 1906, pp. 119-133.

[5] J. MOREL, Contribution aux recherches préhistorique dans le massif de l'Edough, le XX e congrès e l'A.F.A.S. Tunis 1951 (1953).

وتتوافر المواقع التلية الايبيرومغربية بدورها في الجزائر في المنطقة الغابية التي كانت توفر لأناسها مصادر الغذاء كالصيد والنباتات.

ويلاحظ في هذا الصدد التقاء الحضارتين الايبيرومغربية والقفصية في منطقة التل الشرقي الجزائري بموقع مشتى العربي الذي ينسب إليه الإنسان المشتوي الذي يمثل الحضارة الايبيرومغربية في شمال إفريقيا . وهناك مواقع تلية أخرى مثل بونوارة وكاف أم التويزة[1].يضاف إلى ما ذكرنا موقعي كوليمناطة بتيارت والهامل بالقرب من بوسعادة والذين يمثلان المرحلة المتطورة من الحضارة الايبيرومغربية في سوياتهما العليا.[2]

وتتواجد أدوات الايبيرومغربية في كل من موقع وشتاته على الساحل الشمالي التونسي والذي يعد من بين المواقع الهامة في شمال إفريقيا. وقد وجد هناك تشابه كبير بين أدوات هذا الموقع والأدوات التي عثر عليها في مصر العليا ممتدة ما بين أسوان والأقصر وسنشير إلى ذلك فيما بعد.

ويخلو الساحل التونسي فيما عدا موقع وادي عكريت بالقرب من خليج قابس والذي يمثل حلقة اتصال مع المواقع الليبية في كل من حجفة الضبع وهوا الفتايح.

وحول المواقع الليبية يشير الباحث الإنجليزي ماك بيرني بأنه يمكن التأريخ للطبقة 17 من موقع هوا الفتايح وفقا للكاربون رقم 14 بحوالي الألف الرابع عشرة قبل الميلاد. ويعتقد بأن هجرة الأقوام الايبيرومغربية من الشرق إلى الغرب كانت قد تمت قبل ترسبات السوية 17 من الموقع المشار إليه.[3]

وبالمقابل يذكر ج جوبيير وبالوبان هناك تشابه كبير من حيث الأدوات الحجرية الايبيرومغربية بين موقع وشتاته التونسي وحجفة الضبع الليبي.ويقترح

---

[1] J. MOREL, L'outillage lithique de la station de Ref. Oumtouiza dans l'est constantinois, Libyca, T. I, 1953 pp.157-179.

[2] P.CADENAT.-la station préhistorique du colummata ;commune mixte de Tiaret département d'Oran ; Bull. de la soc. De gég .et d'archéol.d'Oran,T.XX ; 1948 ;pp. 3-66 .

[3] C.B.MC.BURBEY ;The Hawa Fteah (Cyrenaica) and the stone ageof saouth east Mediterranean ; Cambridge University press ;1967.

رشيد الناضوري بناء على ذلك بأن الحضارة الايبيرومغربية كانت قد انتقلت من المواقع الليبية إلى تونس ثم عمت بعد ذلك كامل بلاد المغرب القديم[1] هذا كما ثبتت صحة الفرضية القائلة بانتشار هذه الحضارة ابتداء من الشرق إلى المغرب لأنه بالمقارنة بين السويات في كل من هوا الفتايح بليبيا وتوفورالت بالمغرب الأقصى نجد أن التاريخ للسويتين يكاد يكون متقاربا وعليه فإن إشكالية الهجرة من الشرق إلى الغرب تبقى محل أخذ ورد.

ومن جهته يلاحظ الباحث فاربريدج (R.Faurbridge) بعد دراسته لمواقع وادي الحلفاء بالسودان والتي ميزت أدواتها الميكروليتية النصال بنسبة 92,7 %، بأن حضارة ذلك الموقع وفقا للكاربون رقم (14) تعود إلى حوالي 17 ألف سنة قبل الميلاد ، وأنها قد هاجرت إلى الشمال بعد ذلك إلى منطقة أسنا وبلانة (Ballana) بمصر العليا .

وقد حاول فوندورف (F.Wendorf) بعد دراسته لبقايا الحضارة الايبيرومغربية في المنطقة أن يستنتج بأنه لا يستبعد أن تكون الأقوام الايبيرومغربية قد هاجرت إلي شمال إفريقيا بعد مغادرتها لوادي حلفاء وبلانه بمصر العليا وذلك عبر ليبيا.[2]

أما فليبس جيمس فيخلص بعد دراسته للتشابه القائم بين المواقع المغربية في شمال إفريقيا والمصرية السودانية بأن هناك لقاء كبيرا فيزيولوجيا بين إنسان النوبة ومشتى العربي خلال الفترة الايبيرومغربية[3]. وهنا يمكن الرد على من يرجحون انتقال الحضارة الايبيرومغربية من شبه جزيرة ايبيريا إلى بلاد المغرب القديم خلال تلك الفترة التي كان فيها الإنسان اعزل من كل تقنية تساعده على ركوب البحر...

[1] رشيد الناضوري ، المرجع السابق ص 112،.

[2] F. WENDORF, The prehistory of Nubia, T. II, Dallas, Texas, USA, 1968, p. 1050.

[3] P.H. JAMES, The Nile Vally, final paliolithic and external relations uni University, microfilm international, Michigan USA 1983, p. 202.

ثانيا : مخلفات الحضارة القفصية .

التسمية : عرف الباحثون الأثريون وفي مقدمتهم دي مورجان (De Morgane) سنة 1910 تلك الأدوات الميكروليتية التي عثر عليها في منطقة قفصة بالجنوب الغربي التونسي والجنوب الشرقي الجزائري المحاذي له ــ القفصية نسبة إلى مدينة قفصة التي اشتهرت بهذا الاسم منذ القديم.[1]

وعلى ما يبدو، فإن القفصيين كانوا قد عاشوا في بداية الأمر في تلك المناطق السهبية ثم امتد نشاطهم فيما بعد إلى المناطق التلية دون أن يصل إلى الساحل* . وكانت مواقعهم قد أقيمت في الهواء الطلق وتحت الملاجئ والأماكن المحصنة بالقرب من السباخ والأودية. وقد عرفت مواقع القفصيين تلك لدى الباحثين الأثريين بالرماديات (Les Escargotières) أو الحلزونيات، وهي عبارة عن أكوام من رماد المواقد والفحم والصخور وبقايا عظام الحيوانات والإنسان في بعض الأحيان، بالإضافة إلى كميات كبيرة من مواقع وأصداف الحلزون التي تراكمت فوق بعضها لتعطي مساحات قد تمتد إلى مئات الأمتار . وقد يصل سمكها إلى خمسة أمتار.[2]

ويظهر من فضلات طعام القفصيين، بأنهم كانوا يتناولون إلى جانب الحلزون لحوم الحيوانات التي كانوا يصطادونها، بالإضافة إلى النباتات البرية التي كانت تنبت في منطقتهم التي يقيمون بها.[3]

ومن المواقع القفصية المشهورة في تونس نشير إلى موقع المقطع النموذجي قرب مدينة قفصة والذي تمثلت فيه معظم أدوات القفصية الميكروليتية بأنواعها.[4]

---

[1] J. DE MORGAN, Les premières civilisations, le roux, Paris 1909, pp. 135-136.

* جل الباحثين يؤكدون بأن المسافة التي تفصل المواقع القفصية على الساحل لا تقل عن 40 كلم.

[2] R. VAUFREY, Le capsien des environs de Tébessa, bull.de la soc. de préhistoire et d`Archéol. de Tébessa, T. I, 1936-1937, pp. 130-172.

[3] M. REYGASSE, L`escargotière de Chéria , rec. des notes et mém. De la soc. archéol. de Constantine T. LI, 1917 – 1918, pp. 266.

[4] J. GOBERT, El-Mekta station principe du caspien, Karthago, T. III, 1951-1952, pp.35-41

أما في الجزائر فقد توافرت بقايا صناعة تلك الحضارة في كل من عين الذكارة وخنقة المهاد وريلايلي بالقرب من تبسة ثم مواقع السهول العليا القسنطينية والسطيفية بالشرق الجزائري وموقعي كوليمناطة وعين كيدا بالقرب من تيارت بالغرب الجزائري.

ومن مواقع القفصية الهامة في الصحراء نشير إلى موقع وادي منقوب بالقرب من أولاد جلال ووادي سوف[1].

وقد تعزز رأي دي مورجان المشار إليه سابقا حول القفصية عند ما نشر كل من ج جوبير و ر. فوفري لأبحاثهما وذلك في الخمسينات من هذا القرن حيث بدت لهما صناعة الحجارة القزمية الهندسية منتشرة في مواقع مختلفة تعود إلى القفصية.

ويلاحظ بأن القفصيين لم يصنعوا نصالا كثيرة مثل الايبيرومغربية وقد ركزوا في صناعتهم على الشفرات المضروبة الظهر والشظايا بكثرة. إضافة إلى المحكات والمخارز والأزاميل العادية لا سيما في فترة القفصية النموذجية.

أيضا تميزت الصناعة القفصية العليا بالأشكال الهندسية وذلك مثل المثلثات والأشكال المنحرفة والمستقيمة إلى صناعة العظم المتنوعة.
وقد قسم الباحثون الذين درسوا بقايا الحضارة القفصية إلى مرحلتين هامتين هما :

1) الحضارة القفصية النموذجية.

كانت الحضارة القفصية خلال هذه المرحلة النموذجية محدودة المكان بحيث لم يتجاوز إشعاعها منطقتي قفصة وتبسة وهي ممتدة في شكل نصف دائرة تشمل منطقة النمامشة مارة بجنوب الرديف وقفصة بتونس[2].

وقد اتصفت أدواتها بالخشونة والطول وقلة التشذيب واعتبرت فقيرة من حيث الأدوات القزمية ذات اللمسات الهندسية . وتتكون معظم أدواتها من المحكات

---

[1] H. BREINL, et Dr. CLERGEAN, Œuf d'autruche gravé et peint et autres travailles paléolithiques du territoire des Ouled Djellal (Sahara septentrional),l'anth. T. XLI, 1931. pp. 53-54.

[2] G. CAMPS ; Les civilisations préhistoriques de L'Afrique du nord et du Sahara , op. cit. p.110.

التي تصل نسبتها إلى حوالي 27 % إضافة إلى النصال المضروبة الظهر حيث تصل نسبتهاهي الأخرى إلى 20 % . وقد كانت شفراتها عبارة عن شظايا و نصال عريضة مزودة بحافة.

أما الصناعات العظمية العائدة إلى هذه الفترة ولو أنها قليلة فإنها تتمثل في المخارز. وقد أرخ الكاربون رقم (C.14) لهذه الفترة النموذجية بحوالي 6650 سنة ق.م.[1]

2) القفصية العليا أو الحديثة.

يغلب على أدوات هذه المرحلة الصناعة القزمية ذات الأشكال الهندسية والتي غالبا ما تصنع أدواتها من حجارة الصوان وقد تمثلت أدوات القفصية العليا في الأزاميل الدقيقة و النصال المثلثة والمستديرة وأشباه المنحرفة . وقد أشار إليها ج. جوبير تحت اسم الحضارة القفصية ــ النيوليتية. ولا يتردد ج. كامس دون أن يشير إلى أن هناك عدة ثقافات كانت قد سادت في المنطقة القفصية فيما بين الألف السابعة والخامسة كانت قد عرفت تحت اسم الحضارة القفصية العليا الأولى والثانية والثالثة . هذا الأخيرة عرفت بالمتطورة ، وقد سادت خلالها الشفرات المحززة بحيث وصلت نسبتها 60 % بالإضافة إلى الأدوات الميكروليتية الهندسية . ووجدت أمثلة لها في عين الخنقة بالقرب من تبسة وذراع الماء الأبيض ومجاز الثانية ثم عين بوشريط بالقرب من العلمة وكوليمناطة بتيارت وأقدم تاريخ لها هو 5000 سنة ق. م.[2]

التدريج التاريخي:

لا نستطيع أن نتلمس الامتداد التاريخي للحضارة القفصية إلا من خلال تطور أدواتها الحجرية التي استعملها الإنسان في حاجياته اليومية. وقد تم العثور على تلك الأدوات في مواقعها الأصلية في كل من الجنوب الغربي التونسي والشرق الجزائري لا سيما في منطقتها وقد حدد تاريخ أدوات الحضارة القفصية في موقع عين الناقة بالقرب من الأغواط بحوالي 7350 سنة ق. م. واستمرت القفصية العليا بعد ذلك حتى حوالي 4390 ق .م. وذلك في موقع كوليمناطة القفصية بتيارت مما

---

[1] Ibid. p. 110.

[2] H.J. HUGOT, L'Afrique préhistorique, Hatier université, Afrique 1970, p. 30.

أعطى فكرة للباحثين إلى أن فترة القفصية في شمال إفريقيا كانت قد استمرت أكثر من ألفي سنة.[1]

ويمكن أن نلاحظ هنا انطلاقا من الأدوات القفصية في بلاد المغرب القديم، أن القفصية النموذجية وفقا لأدواتها الخشنة والمتسمة بالطول والخلو من الأشكال الهندسية كانت أقدم في استعمالاتها من القفصية العليا.

غير أنه لا يستبعد وفقا للتوزيع الجغرافي الذي سنشير إليه فيما بعد بأن مواقع ليبيا ومصر القفصية تعودان إلى فترة متقدمة عن تلك التي حددت للمواقع المغربية الأخرى.[2]

الامتداد الجغرافي :

يذهب كثير من الباحثين إلى أن الحضارة القفصية في بلاد المغرب القديم والسبيلية في مصر والنطوفية في فلسطين تعتبر كلها متعاصرة أو قريبة من بعضها من حيث التزامن. وهي أيضا معاصرة للحضارتين الأوربيتين التردنوازية والازيلية في أوربا. وقد ذهب هؤلاء الباحثون إلى أكثر من ذلك فأشاروا إلى تأثير الحضارة القفصية في تلك الحضارات الأوربية المعاصرة لها.[3]

ويلاحظ فيما يخص الامتداد الجغرافي للحضارة القفصية أن منطقة تأثيراتهما والمتمثلة في الرماديات والأدوات القزمية بنوعيها العادي الهندسي كانت قد امتدت في السهول العليا السطيفية والقسنطنية وبالذات من منطقة البيبان وبرج بوعريريج غربا حتى منطقة تبسة والمقطع بالجنوب الغربي التونسي.

ومن جهته عثر بـ. كادنة (P.Cadenat) على أدوات ذات طابع هندسي قفصي في منطقة تيارت. وقد التقطت أدوات القفصية النموذجية والعليا من منطقة

---

[1] L. BALOUT, Préhistoire de l'Afrique, op. cit. p. 414.

[2] MC. BURBEY, op. cit. p. 332.

أرخ الكربون 14 للطبقة التي وجدت بها الطبقات القفصية بهوا الفتايح بليبيا بحوالي ما بين 9000 و 7000 ق.م و بذلك تكون القفصية في هذا الموقع أقدم من مكانها النموذجي في المقطع بتونس.

[3] H.Breuil ; L'Afrique préhistorique ; Paris 1931, ;pp. 61-122.

وادي جدي وأولاد جلال بالتخوم الصحراوية[1]. كذلك قام لــ.بالو بما يشبه عمليــة سبر (Sondage) في عين القطارة بالقرب من تادمايت فكانت النتيجة أن عثر على عدة أدوات ميكروليتية من بينها تلك التي تأخذ أشكالا ذات طابع هندسي مثل المثلث والمنحرف والمستطيل ، مما جعل الباحث المشار إليه يتساءل عــن مكانــة تلــك الأدوات بين ترتيب الصناعة القفصية.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن ريجاس كان بدوره قد جمع عدة أدوات من منطقــة مرجومة بالصحراء وقد وضعت في متحف باردو بالجزائر العاصمة وقــد شــملت محكات ونصال خشبية ذات حزوز وشفرات ذات ظهور سميكة.[3] وهيكلها تدل علــى مدى تأثير مرحلة الحضارة القفصية النموذجية في الصحراء.

وكان ل .بالو قد تحفظ على الامتداد الغربي للحضارة القفصية في الجزائــر وذلك فيما يخص المنطقة السهبية والصحراوية لا سيما بعد نتائج الأبحــاث التــي نشرها كل من جــ.تيكسيي في بوسعادة ود.جريبينار(D.Grébenart) في منطقــة مسعد (عين الناقة) اعتقد هذا الأخير أن الأدوات القفصية العليا فيما كانت قد غطيت بطبقة عائدة إلى العصر الحجري الحديث في الموقع المشار إليه آنفا.[4]

ونفس المنهج المتأني سلكه بالو أيضا فيما يخص السيمات القفصية بــوادي سوف والتي أشار إليها ج. بوبو(J.Babo) في الخمسينات من هذا القرن.[5]

ويلاحظ أن مواقع القفصية النموذجية كانت قد تركزت في منطقــة تبسـة والجنوب الغربي من تونس حيث توافرت في منطقة تبسة وحدها حوالي 90 رمادية منتشرة في كامل المنطقة[1].

---

[1] L.Balout ;op.cit ;p ;409.

[2] Ibid ;p ;411.

[3] D.H.Marchand ;stations préhistoriques nouvelles de la région des Ouled Djellal ;L'interatéro-capsien ;Bull ; de la S.P.F.T.XXXVI. 1939.pp.312-317.

[4] G. CAMPS, op.cit. p118.

[5] Dr. ROFFO, La station Caspienne de l'oued El-Hamara, sud des Ouled Djellal, bull. De la S.P.F. T. XXXV, 1938, pp. 288-290.

أما موقع المقطع القريب من قفصة بتونس فيقع على الضفة الشرقية لوادي بوياش. وقد تمثلت صناعته في الأدوات القزمية التي مثلت النصال منها نسبة 57 % بينما انخفضت نسبة السهام المثلثة إلى 15.8 %.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث الإنجليزي ماك بيرني يشير إلى وجود آثار الحضارة القفصية في الطبقة العاشرة من موقع هوا الفتايح بليبيا ويعيد تاريخها إلى ما بين 9000،و7000 سنة ق. م. وتتناقص أدواتها كلما غصنا داخل الموقع حيث توجد أدوات الحضارة الايبيرومغربية في أسلفها[2]. ونفس النتائج أعطتها بعثة كامبردج وفقا لتحاليل الكاربون رقم (C. 14)وذلك سنة 1955.[3]

ويلاحظ بأن أدوات الحضارة القفصية الحجرية في هوا الفتايح بليبيا كانت قد امتزجت بالصناعة العظمية وقشور بيض النعام .وهناك فرضية تحاول أن تجد صلة تقارب أو تأثير وتأثر على الأقل بين القفصيين في هوا الفتايح والنطوفيين في فلسطين، مما يجعلنا نعتقد بأنه كانت هناك اتصالات قديمة بين بلاد المغرب القديم والشرق تعود إلى فترة ما قبل التاريخ.[4]

أما إذا انتقلنا إلى مصر، فإن تأثيرات الحضارة القفصية قد وجدت بقاياها في واحة الخارجة والداخلة وقد أعطتها الباحثة الإنجليزية كانون تومس تسمية الأدوات الميكروليتية البدوية نسبة إلى الأقوام المتنقلة التي جاءت بها من شمال إفريقيا. ومن أدوات القفصية في مصر نشير إلى المكاشط و المحكات والنصال المثلثة.[5] وقد قارن الباحث كوتفيل بين الصناعة القفصية الوافدة إلى مصر والصناعة السبيلية المحلية ،ثم استنتج من مقارنته تلك بأن الأدوات القفصية كانت أكثر إتقانا من مثيلتها السبيلية التي كانت محلية.وقد بدا له بأن القفصية في مصر لم

---

[1] E.J. GOBERT, Les escargotières, le mot et la chose, III e congr. De la fed. des soc. savantes de l'Afrique du nord, Constantine, T . II, p. 639.

[2] G.B.M. MC. BURNEY , op.cit. p.333.

[3] Ibid., p.332.

[4] E. VIGNARD, Une nouvelle industrie lithique, le sebilien , bull.de la S.P.F, T ,XXV, 1928, pp.200-240.

[5] R. VAUFREY, Les gisements paléolithique de l'oasis de Kharga (Egypte), l'anthrop. T. XV, 1932, pp. 647-648.

تتطور عن السبيلية وإنما جاءت مهاجرة وهو عكس الفرضيات التي تحاول أن تجعل القفصية قد انطلقت من الشرق نحو الغرب وتربطها بالسبيلية.[1]

وتجدر الملاحظة أن بقايا القفصية في مصر قد توافرت في كل من مواقع الفيوم وكوم أمبو و وادي ميدا مود بالقرب من الأقصر، بالإضافة إلى حلوان في مصر السفلى.[2]

غير أن الحضارة السبيلية المصرية قد وجدت متوافرة في منطقة التانزرولت بالقرب من رقان بالصحراء الجزائرية. وقد صنفها الباحثون ضمن صناعة العصر الحجري الوسيط.[3].

نستخلص مما سبق بأن مدارك الإنسان في العصر الحجري اللاحق في شمال إفريقيا كانت قد تطورت كثيرا. بحيث أصبح يتعامل مع محيطه الخارجي بمهارة فائقة، حيث لم يبق حبيس الصناعة الحجرية فقط بل صنع العظام واتخذ الحلي من كسر بيض النعام وبدأ يعتقد في الخير والشر في هذا الوجود. يستنتج ذلك من الأقنعة والمنحوتات التي عثر عليها في مواقعه بالمقطع.

أما من الناحية الاقتصادية ، فإن رمادياته في منطقة تبسة بالشرق الجزائري تعطي الدليل على أن الإنسان بدأ يستقر ويمارس نوعا من التجمع حول مصادر الرزق مثل السباخ والسهول التي يتوفر فيها كثير من الحلزون والنباتات لا سيما في سنوات الخير التي تعم فيها الأمطار.

إن استقرار الإنسان المشار إليه واعتماده على المصادر المادية التي كانت في متناول يده جعله يستعد لممارسة الرعي واكتشاف الزراعة في الحقبة الموالية المتمثلة في العصر الحجري الحديث.

■

---

[1] GIRAUD ET COTTVILLE, L'Egypte avant l'histoire, Bifao, le Caire, 1953. 28-38.

[2] BOVIER LA PIERRE, L'Egypte préhistorique pharaonique et gréco-romaine, le Caire, 1932, pp.34-38.

[3] G. CAMPS, op.cit. pp.192-194.